المحاضرة الثانية

المنهج العلمي المعاصر في البحث الجغرافي

1. تحديد المشكلة (الهدف).

من الاتجاهات الحديثة في علم الجغرافيا خلق روح المشكلة ، إذ أن كل علم من العلوم له مشكلات علمية يهتم بها العلماء في شتئ فروع تخصصهم ، وهذا الاتجاه يرى أن مجرد وصف الحقائق والخصائص لمنطقة معينة لا يعد مشكلة بالمعنى المعروف في بقية العلوم .

فلا بد للباحث الجغرافي أن يفكر بالمشكلة التي يريد بحثها فيحددها ويحاول معرفة جوانبها المتعددة ويقارنها بالدراسات المشابهه ويلاحظ المشكلات التي نجمت عنها لتلافيها وتجنبها ولا بد له أيضاً أن يطلع على ألأبحاث التي قام بها الأخرون لدراسة نفس المشكلة ، ففي ذلك أكبر الفائدة في التعرف على وجهات نظر مختلفة ويمكن القول إن التحديد الواضح للمشكلة معناه الوصول إلى نصف الحل .

ومن البديهي أننا عند دراسة مشكلة معينة لا بد أن نحدد الميدان الذي نطرقه لكي تكون الدراسة منتجة وهذه المشكلة يجب أن لا تكون كبيرة واسعة حتى لا تصبح ضحله ، وأن لاتكون ضيقة محدودة جداً حتى لا تصبح تافهة بل تكون وسطاً بين هذه وتلك ، منزلة مناسبة حتى تصل بالباحث إلى نتائجها المرجوة في يسر وقوة ، ونقتصر في دراستنا على الظواهر التي لها علاقة بالمشكلة المطروحة وهذه نشرع في دراستها ونترك غيرها ، ومما يساعدنا على ذلك تحديد المشكلة التي تواجهنا ومعرفة الغرض الذي نرمي إليه من بحثنا ، وبمعنى أخر أن تكون لدينا إجابة واضحة عن السؤال : لماذا نقوم بهذا البحث أو نعالج هذه المشكلة ؟ ويجب على الباحث أن يختار مشكلة يمكن معالجتها فما الفائدة من موضوع لا يمكن دراسته لبعده عن متناولنا أو لبعده عن اختصاصنا ، ومن الواضح أن الباحث في حاجة للأخذ بجميع الوسائل الممكنة التي تساعده على فهم أفضل للمشكلة قبل الشروع في حلها ، ولذا فهو يعتمد على الملاحظة والتجربة ويلجاء أثناء ذلك إلى التحليل والتركيب ، بل يستخدم مختلف الأساليب التي تساعده على فهم الظاهرة المدروسة مثل خرائط التوزيع والخطوط البيانية وجداول العرض الإحصائية والأساليب الرياضية .

الملاحظة : تعرف الملاحظة بأنها المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما ، مع الإستعانة بأساليب البحث والدراسة التي تتلائم مع طبيعة هذه الظاهرة ، وهي تتطلب من الباحث أن يوجه حوواسهة وعقله إلى طائفة خاصة من الظواهر لا مجر مشاهدتها ، بل لمعرفة صفاتها وخواصها وعلاقاتها ، وبهذا المعنى لا تكون الملاحظة مجرد عملية حسية ، بل تتضمن تدخلاً إيجابياً من جانب العقل الذي يقوم بنصيب كبير في إدراك الصلات الخفية بين الظواهر الجغرافية .

وتطلق الملاحظة العلمية على كل ملاحظة منهجية يقوم الباحث بصبر للكشف عن تفاصيل الظواهر المدروسة ، وهن العلاقات الخفية التي توجد بين عناصرها ، أو بينها وبين الظواهر الأخرى ، وهي تتميز عن الملاحظة السريعة بالدقة ووضوح الهدف الذي تريد تحقيقة .

ومن الملاحظات التي يخرج بها المتجول في أنحاء المدينة مثلاً ، تناقص أرتفاع الأبنية مع تزايد البعد عن مركز المدينة ، ومن مطالعة التعداد العام في ليبيا حيث يلاحظ ان مساحة 98 % مساحة غير مسكونة .

ويمكن التفرقة بين نوعين من الملاحظة العلمية وهما : ملاحظة الكيف وملاحظة الكم ويستخدم النوع الأول في الموضوعات التي تتطلب تصنيف الأشياء إلى أجناس وأنواع وفصائل وفي هذه الموضوعات يهتم الباحث بتحديد الصفات النوعية التي تميز ألأجناس والأنواع والفصائل بعضها عن بعض ، أما ملاحظة الكم فيراد بها معرفة العلاقات بين العناصر التي تتألف منها ظاهرة معينة ، وترمي هذه الملاحظات إلى التعبير عن العلاقات التي تكشف عنها بنسب عددية وتحاول الوصول إلى مرحلة الدقة التي وصلت إليها العلوم الرياضية .

وينبغي لنا أن نشير إلى أن الملاحظة العلمية ليست مجرد تسجيل لما يطرأ على الظواهر من تحول أو تطور ، فقد رأينا أن كل ملاحظة تنطوي على عنصر عقلي ، وأنها تعتبر محاولة أولى لتفسير الظواهر وفهمها إلى حد ما .

التجربة :المجرب هو الذي يستخدم وسائل البحث لتعديل الظواهر الطبيعية وإيجادها في ظروف لا تحققها الطبيعة من تلقاء نفسها ، ولذا لايكون هناك خلاف جوهري بين لملاحظة والتجربة ، إذ ينحصر الخلاف الوحيد بينهما في أن الظاهرة التي يجب على المجرب

ملاحظتها لا توجد في وضعها الطبيعي بل هو الذي يخرجها إلى حيز الوجود لتحقيق غرض معين ،ففي الجغرافيا يمكن دراسة العلاقات بين الرياح وحركات ألأمواج والحت والإرساب على شواطئ البحار عن طريق نموذج محاكاة لشاطئ البحر على شكل حوض مائي داخل صندوق زجاجي ، تتحرك فيه المياه حركة تشبه حركة الأمواج .

التحليل والتركيب : بما أن الجغرافيا هي دراسة التابين المكاني فمن الطبيعي أن توصف بنها علم تركيب ، ففي جغرافية العمران الريفي نعني بتحليل العناصر الداخلية – من حيث الحجم والشكل والوظيفة – والخارجية – من حيث التوزيع والعلاقات – وتفسيرها بعواملها الجغرافية ، ثم نحاول إعادة تركيب تلك العناصر في إنماط جغرافية .

وبعد إنتهاء عملية التحليل يقوم الباحث بعمل مقارنات وهي التي ترشد الباحث إلى أوجه الشبة والخلاف بين الظاهرة التي يحللها والظواهر الأخرى التي سبقت معرفتها ، وهذه المقارنة ضرورية في ربط المعلومات وتوضيحها وتصحيحها ، ثم بعد ذلك ينتقل الباحث إلى مرحلة الإستقراء وهي التي تهدف إلى الكشف عن العلاقات الثابتة بين الظواهر أو العناصر الجغرافية ، وهنا يلجاء الباحث إلى استخدام التركيب التجريب بإعادة التأليف بين العناصر التي فرق التحليل بينها ، للتأكد من صدق نتائج التحليل .

إن عملية لتحليل تنتهي بنا إلى ظواهر متباينة تختلف فيما بينها من حيث توزيعها وخصائصها وعلاقاتها ، ولذا لا بد للجغرافي أن يصنف هذه الظواهر الجغرافية المتفرقة ويؤلف بينها على نحو خاص ، داخل إطارها المكاني والزماني .